سلاح المقاومة وسلاح إسرائيل: أين مصدر الخطر؟

2004/4/17م

الدكتور محمد شقير

إن كثيراً من الأمور التي تطفو فجأة أو تزول عن السطح السياسي ليست بريئة براءة الذئب من دم يوسف في كثير من تفاصيلها ومضامينها وغاياتها، ويبدو في هذا السياق موضوع القرار 1559 وقضية نزع سلاح المقاومة.

والعديد من المحللين يقرأ هذا الموضوع باعتبار كونه مفردة في مشروع أميركي إسرائيلي يستهدف المنطقة وبالتحديد مواطن القوة والصمود بوجه ذاك المشروع واستهدافاته الساعية إلى إعادة ترتيب الوضع اللبناني بطريقة تنسجم والمصالح الأميركية والإسرائيلية في المنطقة.

لن يكون أمراً مستغرباً أن تسمع أصواتاً أميركية أو إسرائيلية تستهدف سلاح المقاومة، لكن الغريب والمستهجن أن يكون هناك أصوات لبنانية لا تدافع عن سلاح المقاومة أو تشكك فيه وفي استخداماته.

ينبغي الالتفات هنا إلى أن دراسة قضية سلاح المقاومة بمعزل عن السلاح الإسرائيلي هي دراسة منقوصة ومقتطعة ولن توصل إلى نتائج صحيحة لأن هذا السلاح أي السلاح الإسرائيلي هو سلاح محتل وهو أي الاحتلال الذي أدى إلى نشوء المقاومة وإلى وجود سلاح المقاومة.

وبالتالي فإن أية دراسة موضوعية وعلمية وحكيمة لسلاح المقاومة يجب أن تأخذ بعين الاعتبار سلاح إسرائيل واستخدامات هذا السلاح وكيفية توظيفه ووجهته والأهداف المرسومة له وتجربة المنطقة معه، وبالتحديد التجربة اللبنانية السابقة أو التي ما زالت ماثلة بين أيدينا.

فيما يرتبط بالسلاح الإسرائيلي هو سلاح متطور كماً ونوعاً سواء ما كان منه سلاحاً تقليدياً أو غير تقليدي، أما على مستوى استخدامات هذا السلاح فقد أثبتت كل التجارب السابقة وطيلة العقود السابقة أنه سلاح عدواني توسعي محتل لا يرعى حرمة ولا يعترف بعهد ولا يأبه بأي قانون أو ميثاق دولي، لقد أثبت السلاح الإسرائيلي طيلة السنين السابقة أنه سلاح لا أخلاقي لا إنساني وأنه سلاح اجرامي يرتكب المجازر ويحتل الدول ويدوس بعجلاته القوانين والأعراف الدولية، والأنكى من هذا أنه سلاح مدعوم بقوة سياسية وعلاقات دولية تجعل من الاحتلال دفاعاً عن النفس ومن الجريمة مهارة عسكرية ومن المجازر مهمة صغيرة لجيش لا يعرف الرحمة وهو أي

هذا الجيش تحت إدارة سلطة سياسية ترى في المصلحة الإسرائيلية أمراً فوق أي اعتبار إنساني أو أخلاقي أو قانوني أو شرعي ومهما كانت الأثمان والخسائر والمحن والماسي التي يمكن أن تصيب الطرف الاخر.

هذا السلاح الإسرائيلي استهدف لبنان واعتدى على لبنان وشعبه وأرضه وارتكب العديد من المجازر بحق الشعب اللبناني واحتل أرضه لعقود من الزمن وسبّب الدمار للبنان ودمر اقتصاده واستباح البر والبحر والسماء وما زال لا يحترم للبنان سيادة بل يدوس كرامته وسيادته كل يوم باحتلاله وطائراته وقطعاته البحرية.

أما سلاح المقاومة فهو السلاح الذي نشأ رداً على الاحتلال ومن أجل تحرير الأرض والإنسان وحماية الوطن وسيادته وهو السلاح الذي أثبت قدرته على مواجهة العدو وعلى تحرير الأرض وحماية الوطن وصون الحدود ومنع التعدي وتكريس معادلة ردعية تجعل إسرائيل تفكر ألف مرة قبل أن تقدم على أي عمل عدواني تجاه لبنان.

وقد أثبتت القوة التي تدير هذا السلاح حكمة عالية في استخدامه وحرصاً كبيراً على استعماله حصرياً لحماية كل الوطن وكل اللبنانيين وتأكيداً عملياً على توظيفه فقط من أجل سيادة لبنان وحرمة أراضيه ومياهه.

وقد أثبتت المقاومة وعياً كبيراً وقدرة غير عادية على ضبط أي انفعال في لحظة تأخذ فيها الحليم نشوة النصر أو تغلبه دوافع الثأر وخصوصاً على أحبة قتلوا ظلماً وعدواناً واحتساباً وصبراً على مرّ الاحتلال وأذى ذوي الجيرة وإساءة شريك الدار والوطن.

لقد شهد بأخلاقية هذا السلاح وحكمته ورزانته القاصي والداني خصوصاً بعدما مرّ بأكثر من تجربة كان يمكن له فيها أن يطلق عنان الثأر أو أن يعامل بالمثل أولئك الذين خانوا وهانوا وأكثروا في الأرض الفساد وظلموا الأهل والعباد، لكن هذا السلاح ما فعل وتعالى على الجراح وصوّب فقط وفقط على عدو الوطن والشعب والتراب. فمن أي سلاح نخاف؟ هل من سلاح لبناني مقاوم حمى الأرض والعرض، قِيَمه إنسان وطنه، وضميره إيمانه بشعبه، أثبت رزانته وحكمته؛ أم من سلاح إسرائيلي بيد عدوٍّ معتد أثيم لا يراعي إلاًّ ولا ذمة ولا يرى لإنسان كرامة ولا حرمة، حدوده ثمّ انتهت عجلات مركبته ومدى طائراته وما استحصل عليه بالحديد والنار.

إن سلاح المقاومة قوة للبنان وحصانة لترابه أمام أي اعتداء إسرائيلي لأن السلاح الذي حرّر الوطن هو السلاح القادر على حمايته من أي اعتداء جديد وهو السلاح الذي يمنع إسرائيل من أن تعود إلى سالف من الأطماع والامال.

إن من يخاف من سلاح المقاومة ولا يخاف من سلاح إسرائيل مثله كمثل من يخاف من السكين في يده فيرميها ليجعل من نفسه فريسة سبع يتربص به شراً.

إن من لا يدافع عن سلاح المقاومة إما أنه يجهل حقيقة سلاح إسرائيل، أو أنه لا تعنيه كل الدماء اللبنانية التي أراقتها إسرائيل أو الأرض التي استباحتها اليات جيشها ولا تعنيه المخاوف التي تعتري الجنوبيين والكثير من اللبنانيين من إسرائيل وسلاحها، لذلك لا يصيبه هم أو غم من أن تعاود إسرائيل كرة أخرى أو لعله لا يرى فيمن يسكنون تلك الجهة من الوطن لبنانيين، أو أن لهم صفة لبنانية ولكن من نوع أقل، أو أن هناك حاجة في نفس (يعقوب) لا تفصح عنها إلا حوادث الدهر.

إن من ذاق مراً من سلاح إسرائيل ورأى شراً من سلاح إسرائيل وتحمل رزايا ذاك السلاح من دم أريق أو قتيل حبيب أو طفل شهيد أو جريح يتشحط بدمه أو فؤاد لم يعرف للأمان طعم؛ لن يقرّ له قرار أو يرتاح له بال ما دام سلاح بيد إسرائيل، وإن من يمنحه الأمن الأمان هو فقط وفقط سلاح المقاومة، لأنه السلاح الوحيد الذي أثبتت التجربة أنه قادر على الدفاع عن هؤلاء وحمايتهم وتوفير الأمن لهم وتحصينهم من أن يكونوا مادة للمجازر الإسرائيلية وهدفاً لجيش إسرائيل وطعمة لسلاحها الفتاك.

إن الاستهتار بأمن هؤلاء وأمن الوطن وكرامة الوطن أمام أي عدوان إسرائيلي محتمل وهو محتمل طالما أن سلاحاً بيد إسرائيل يعني أن لا قيمة لدى هؤلاء لسيادة لبنان وحريته وكرامته وإن تغنت بها حناجر النساء ودقت لها الدفوف.

إن من يحرص على حماية لبنان يجب أن يحرص على سلاح المقاومة ومن يحرص على سيادة لبنان يجب أن يحرص على سلاح المقاومة ومن يريد قوة لبنان عليه أن يستهدف سلاح إسرائيل لا سلاح المقاومة.

إن واجب جميع اللبنانيين الدفاع عن سلاح المقاومة وخصوصاً عندما يصبح مطلباً إسرائيلياً نزع ذلك السلاح، لأنه لا أدل على كونه مصلحة إسرائيلية لا لبنانية، هو حرص إسرائيل على ذلك المطلب وسعيها لتحقيق ذلك المطلب، بل إن المسعى الإسرائيلي لنزع سلاح المقاومة يخفي نوايا عدوانية تجاه لبنان لأن ما يمنع إسرائيل من استئناف عدوانها على لبنان هو سلاح المقاومة ولذلك تريد تعرية لبنان من حصانته الاستراتيجية ومن مناعته الردعية لتعاود الانقضاض عليه واستباحة أرضه.

إن سلاح المقاومة هو ضمانة استراتيجية للبنان طالما أن في إسرائيل سلاحاً خطيراً تمسك بقراره إدارة سياسية تنتمي إلى دولة قامت أسسها على العدوان وغصب الأراضي وارتكاب المجازر واستباحة حقوق الشعوب وعدم الاعتراف بحقها في العيش الكريم.